الخصوصية ما بين التنظير والواقع

يومًا عن يوم، تضرب التقنية بجذورها أكثر لتتأصل في المجتمع بشكل أعمق حتى أصبحت هي لغته، ومن لا يجيدها لا يتحدث لغة الحداثة.
في ظل هذه الثورة تسعى مواقع التواصل الاجتماعي جاهدةً لإرساء قواعدها، كي تحظى بالصدارة في بيئة تسودها المنافسة المحتدمة لاستقطاب أكبر شريحة ممكنة من الجماهير في ميادينها.
في ضوء الحديث عن اتساع دائرة مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي توجب الكلام عن قضية انتهاك خصوصية الأفراد التي أثيرت مؤخرًا من قبل موقع التواصل الاجتماعي الأكثر شعبية الفيسبوك، الذي يمثل عدد مرتادوه ٢ مليار أي مايقارب ربع سكان العالم، في قضية تعتبر الأولى من نوعها يمثل الملياردير الشاب مارك زوكربيرغ مؤسس الفيسبوك أمام المحكمة على إثر فضيحة تسريب بيانات ٨٧ مليون مستخدم الغالبية العظمى منهم من الولايات المتحدة الأميركية تزامنًا مع حملة الانتخابات الرئاسية الأميركية للرئيس الأميريكي دونالد ترامب.
وتكمن أبعاد هذه القضية في تمكن شركة كمبردج أناليتيكا للاستشارات السياسية من الاستحواذ على البيانات الشخصية لملايين المستخدمين للموقع أثناء تعاونها مع الحملة الانتخابية للرئيس الأميريكي ترامب في عام ٢٠١٦، وأما عن موقف الطرف الآخر الفيسبوك الذي نفى ارتباطه المباشر بالقضية موضحًا أنه من الممكن أن تكون المعلومات قد تسربت دون دراية منهم، ولا يعني ذلك إخراجهم من دائرة الاتهام بسبب الثغرات الأمنية في أنظمة حماية الموقع، وهذا ماصرح به المؤسس زوكربيرغ قائلًا : "من الواضح الآن أننا لم نفعل ما يكفى لمنع استخدام هذه الأدوات للضرر أيضا، وهذا ينطبق على الأخبار الزائفة والتدخل الأجنبي في الانتخابات وخطاب الكراهية، وكذلك المطورون وخصوصية البيانات، لم نتخذ رؤية شاملة كافية لمسؤوليتنا، وكان ذلك خطأ كبيرًا، لقد كان خطئي، وأنا آسف، لقد بدأت فيسبوك وأنا أديره، وأنا مسؤول عما يحدث هنا".
على إثر هذه الحادثة شرّع الاتحاد الأوربي أنظمة مستحدثة تسعى من خلالها للحفاظ على خصوصية مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي مغرمةً كل من يخل بالأنظمة الجديدة، ولذلك شهدنا في الآونة الأخيرة تسارع مواقع التواصل الاجتماعي لتحديث سياسات الخصوصية لديها لتتماشى مع هذه الأنظمة، متفاديةً الوقوع في خسائر كبيرة كما حدث مع نظيرتها الفيسبوك التي تكبدت خسائر فلكية وصلت إلى ٥٨ مليار دولار لأسبوع واحد فقط.
في إطار هذه الملابسات حول موضوع الخصوصية في عصر التقنية، أصبحنا نشاهد تغيرًا في مسار الخصوصية التي كانت منحصرة بين الجدران والنوافذ قبل أن تأتي التقنية لتقلب هذه المفاهيم، ويبقى التساؤل الأهم: هل أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي بما تملكه من قواعد بيانات ضخمة تشكل خطرًا على المجتمعات؟ هل خلل بسيط في أحد أنظمة الحماية لهذه المواقع قد يساهم بالتلاعب في الواقع؟